

بجهالتهم فاتاهم من بأس الله تعالى ما لا قبل لهم به ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أي احاط بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي يكذبون ويستعدون وقوعه ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ أي عابنوا وقوع العذاب بهم ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكُفِرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ أي وحدوا الله عز وجل وكفروا بالطاغوت ولكن حيث لا تقال العثرات ولا تنفع المعذرة وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال الله تبارك وتعالى : ﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي فلم يقبل الله منه لأنه قد استجاب لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام دعاءه حين قال ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ وهكذا قال تعالى ههنا ﴿فَلَمَّ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَنَآءَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ أي هذا حكم الله في جميع من تاب عند معاناة العذاب أنه لا يقبل ولهذا جاء في الحديث وإن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يفرغه أي فإذا فرغ من الروح الخنجره وعابن الملك فلا توبة حينئذ ولهذا قال تعالى : ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ .

سُورَةٌ فَصَّلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كَتَبْتُ فَصَّلْتُ ءَايَاتِهِ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ وَمَا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِيءَآذَانِنَا وَقَوْمٍ مِّنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا عَمَلُونَ ﴿٤﴾

يقول تعالى : ﴿حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يعني القرآن منزل من الرحمن الرحيم كقوله ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ وقوله ﴿وَإِنَّا لَنَنْزِيلُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين * وقوله تبارك وتعالى : ﴿كَتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ﴾ أي بينت معانيه واحكامه ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي في حال كونه قرآناً عربياً بينا واضحا فمعانيه مفصلة وألفاظه واضحة غير مشككة كقوله تعالى : ﴿كَتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ أي هو معجز من حيث لفظه ومعناه ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ وقوله تعالى : ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي إنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون ﴿بَشِيرًا أَوْ نَذِيرًا﴾ أي تارة يبشر المؤمنين وتارة ينذر الكافرين ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي أكثر قريش فهم لا يفهمون منه شيئا مع بيانه ووضوحه ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ أي في غلف مغطاة ﴿مَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِيءَآذَانِنَا وَقَوْمٍ مِّنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ فلا يصل إلينا شيء مما نقوله ﴿فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ أي اعمل أنت على طريقتك ونحن على طريقتنا لا نتابعك ، قال الإمام العالم عبد ابن حميد في مسنده : حدثني ابن أبي شيبه حدثنا علي بن مسهر عن الأجلح عن الزبال بن حرملة الأسدي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : اجتمعت قريش يوماً فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت امرنا وعاب ديننا فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه فقالوا ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة ، فقالوا أنت يا أبا الوليد فاتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله فقال أنت خير أم عبد المطلب ، فسكت رسول الله ﷺ فقال إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الألهة التي عبدت وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا وشتت أمرنا ، وعبت ديننا وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً وإن في قريش كاهناً والله ما نتنظر إلا مثل صبيحة الحبلبي أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيف حتى نتفانى ، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً واحداً ، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً ، فقال رسول الله ﷺ «فرغت» قال نعم ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - حَتَّى بَلَغَ - فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثَمُودَ﴾

فقال عتبة حبسك حسبك ما عندك غير هذا، فقال رسول الله ﷺ «لا» فرجع الى قريش فقالوا ما وراءك؟ قال ما تركت شيئاً ارى انكم تكلمون به إلا كلمته، قالوا فهل اجابك؟ قال نعم لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئاً مما قاله غير انه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، قالوا وويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟ قال لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة. وهكذا رواه الحافظ ابو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي بكر بن ابي شيبه بإسناده مثله سواء، وقد ساقه البغوي في تفسيره بسنده عن محمد بن فضيل عن الأجلح وهو ابن عبد الله الكندي الكوفي وقد ضعف بعض الشيء عن الزيال بن حرملة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه فذكر الحديث إلى قوله ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثُمُودَ﴾ فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم، فقال ابو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ الى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا إليه فانطلقوا اليه فقال أبو جهل: يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبأت الى محمد وأعجبتك طعامه فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد، فغضب عتبة وأقسم ان لا يكلم عمداً أبداً وقال والله لقد علمتم أي من أكثر قريش مالاً ولكني أتيتهم وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثُمُودَ﴾ فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن عمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخشيت أن ينزل بكم العذاب، وهذا السياق أشبه من سياق البزار وأبي يعلى والله تعالى أعلم، وقد أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة على خلاف هذا النمط فقال حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيداً قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله ان يقبل بعضها فنعطيه ايها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا اصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا بلى يا أبا الوليد فقم اليه فكلمه، فقام اليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من السلطة في العشرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به أهنتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آباءهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال: فقال رسول الله ﷺ «قل يا أبا الوليد أسمع» قال ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى نكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً نراه لا نستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الاطباء وابدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي منه او كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال وأفرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم. قال «فاستمع مني» قال افعل. قال «بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزيل من الرحمن الرحيم، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون» ثم مضى رسول الله ﷺ فيها وهو يقرؤها عليه. فلما سمع عتبة انصت لها والقي يديه خلف ظهره معتمداً عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك» فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي اني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة، يا معشر قريش اطيعوني واجعلوهالي خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكون لقلوبه الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزمكم وكنتم اسعد الناس به. قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم. وهذا السياق أشبه من الذي قبله، والله أعلم.

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَوْكِبِ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۗ

لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾

يقول تعالى: ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء المكذبين المشركين ﴿إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ لا كما تعبدونه من الاصنام والانداد والارباب المتفرقين إنما الله إله واحد ﴿فاستقيموا إليه﴾ أي اخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على السنة الرسل ﴿واستغفروه﴾ أي لسالف الذنوب ﴿وويل للمشركين﴾ أي دمار لهم وهلاك عليهم ﴿الذين

لا يؤتون الزكاة ﴿ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله وكذا قال عكرمة وهذا كقوله تبارك وتعالى : ﴿ قد أفلح من زكاه ، وقد خاب من دسأه ﴾ وكقوله جلّت عظمته ﴿ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصل ﴾ وقوله عز وجل ﴿ فقل هل لك الى ان تزكى ؟ ﴾ والمراد بالزكاة ههنا طهارة النفس من الاخلاق الرذيلة ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك ، وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام وتكون سبباً لزيادته وبركته وكثرة نفعه وتوفيقاً الى استعماله في الطاعات ، وقال السدي ﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ﴾ أي يؤدون الزكاة ، وقال معاوية بن قرة ليس هم من اهل الزكاة وقال قتادة بمنعون زكاة أموالهم وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين واختاره ابن جرير وفيه نظر لأن ايجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة الى المدينة على ما ذكره غير واحد وهذه الآية مكية اللهم الا ان يقال لا يبعد ان يكون اصل الصدقة والزكاة وكان مأموراً به في ابتداء البعثة كقوله تبارك وتعالى : ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ فأما الزكاة ذات النصب والمقادير فإنما بين أمرها بالمدينة ويكون هذا جمعاً بين القولين كما ان اصل الصلاة كان واجباً قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة فلما كان ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة ونصف فرض الله تعالى على رسوله ﷺ الصلوات الخمس وفصل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك شيئاً فشيئاً والله اعلم . ثم قال جل جلاله بعد ذلك ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم اجر غير ممنون ﴾ قال مجاهد وغيره : غير مقطوع ولا محبوب كقوله تعالى : ﴿ ما كثر فيها ابداء ﴾ وكقوله عز وجل ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾ وقال السدي غير ممنون عليهم وقد رد عليه هذا التفسير بعض الأئمة فإن المنّة لله تعالى على اهل الجنة قال الله تبارك وتعالى : ﴿ بل الله يمين عليكم ان هذاكم للإيمان ﴾ وقال اهل الجنة فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ، وقال رسول الله ﷺ ﴿ إلا يتغمدي الله برحمته منه وفضل ﴾ .

﴿ فإل أنيكنم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين ﴾ ﴿ وحلّ فيها رويس من فوّينا وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسّائلين ﴾ ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوّنا أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾ ﴿ ففضّهنّ سبع سموات في يومين وأوحى في كلّ سماء أمرها وزيّنا السّماء الدنيا بمصبيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم ﴾

هذا إنكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره وهو الخالق لكل شيء القاهر لكل شيء المقتدر على كل شيء فقال ﴿ قل أنكنم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ﴾ أي نظراء وأمثالا تعبدونها معه ﴿ ذلك رب العالمين ﴾ أي الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم . وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى : ﴿ خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴾ ففصل ههنا ما يختص بالأرض مما اختص بالسماء فذكر أنه خلق الأرض أولاً لأنها كالاساس والأصل أن يبدأ بالاساس ثم بعده بالسقف كما قال عز وجل ﴿ وهو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾ الآية فأما قوله تعالى : ﴿ أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ﴾ رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * اخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال ارساها * متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ ففي هذه الآية أن دحو الأرض كان بعد خلق السماء ، فأما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنص وبهذا أجاب ابن عباس رضي الله عنه فيما ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية من صحيحه فإنه قال : وقال المنهال عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما إني لأجد في القرآن أشياء تختلف علي ، قال ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴿ ولا يكتنون الله حديثاً ﴾ ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ فقد كنتموا في هذه الآية ، وقال تعالى : ﴿ أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها - إلى قوله - والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ فذكر خلق السماء قبل الأرض ثم قال تعالى : ﴿ قل أنكنم لتكفرون بالذي خلق الأرض وفي يومين - إلى قوله - طائعين ﴾ فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء قال ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ ﴿ عزيزاً حكيماً ﴾ ﴿ سميعاً بصيراً ﴾ فكانه كان ثم مضى فقال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ في النسخة الاولى ، ثم نفع في الصور ﴿ فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون بينهم في النسخة الأخرى ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ وأما قوله ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ ﴿ ولا يكتنون الله حديثاً ﴾ فإن الله تعالى يغفر لأهل الاخلاص ذنوبهم فيقول المشركون تعالوا نقول لم تكن مشركين فيختم على أفواههم فتنتطق ايديهم فعند ذلك يعرف ان الله تعالى لا يكتم حديثاً ، وعنده ﴿ يؤد الذين كفروا ﴾

الآية ، وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحى الأرض ودحيتها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجبال والأكام وما بينها في يومين آخرين فذلك قوله تعالى دحاها وقوله ﴿خلق الأرض في يومين﴾ فخلق الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلق السموات في يومين ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ سمي نفسه بذلك وذلك قوله أي لم يزل كذلك فإن الله تعالى لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد فلا يختلف عليك القرآن فإن كلا من عند الله عز وجل . قال البخاري حدثني يوسف ابن عدي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال هو ابن عمرو الحديث . وقوله ﴿خلق الأرض في يومين﴾ يعني يوم الأحد ويوم الاثنين ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها﴾ أي جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس وقدر فيها أوقاتها وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس يعني يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع اليومين السابقين أربعة ولهذا قال ﴿في أربعة أيام سواء للسائلين﴾ أي لمن أراد لسؤال عن ذلك ليعلمه وقال عكرمة ومجاهد في قوله عز وجل ﴿وقدر فيها أوقاتها﴾ جعل كل أرض ما لا يصلح في غيره ومنه العصب باليمن والساووري بسابور والطيالسة بالري وقال ابن عباس وقتادة والسدي في قوله تعالى : ﴿سواء للسائلين﴾ أي لمن أراد السؤال عن ذلك وقال ابن زيد معناه وقدر فيها أوقاتها في أربعة أيام سواء للسائلين أي على وفق مراده من له حاجة إلى رزق أو حاجة فإن الله تعالى قدر له ما هو محتاج إليه وهذا القول يشبه ما ذكره في قوله تعالى : ﴿وأناكم من كل ما سألتموه﴾ والله أعلم وقوله تبارك وتعالى : ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ وهو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها﴾ أي استجيبا لأمرى وانفعلوا لفعل طاعتين أو مكرهتين قال الثوري عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها﴾ قال : قال الله تبارك وتعالى للسموات اطلعي شمسي وقمري والنجوم وقال للأرض شققي أنهارك وأخرجي نهارك ﴿قالنا ائتيا طاعتين﴾ واختاره ابن جرير رحمه الله قالنا ائتيا طاعتين أي بل نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه من الملائكة والجن والانس جميعاً مطيعين لك ، حكاه ابن جرير عن بعض أهل العربية قال وقيل تنزيلاً لمن معاملته من يعقل بكلامها وقيل إن المتكلم من الأرض بذلك هو مكان الكعبة ومن السماء ما يسامته منها والله أعلم وقال الحسن البصري لو أبيا عليه أمره لعذبها عذاباً يجذان ألمه رواه ابن أبي حاتم ﴿فقصاهن سبع سموات في يومين﴾ أي فرغ من تسويتهن سبع سموات في يومين أي آخرين وهما يوم الخميس ويوم الجمعة ﴿وأوحى في كل مساء أمرها﴾ أي ورتب مقررأ في كل مساء ما تحتاج إليه من الملائكة وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ وهي الكواكب النيرة المشرقة على أهل الأرض ﴿وحفظاً﴾ أي حرساً من الشياطين أن تستمع إلى الملا الأعلى ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ أي العزيز الذي قد عز كل شيء فعلبه وقهره العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم قال ابن جرير حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال هناد : قرأت سائر الحديث أن اليهود أتت النبي ﷺ فسألته عن خلق السموات والأرض فقال ﷺ ﴿خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيها من منافع وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة ﴿قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً﴾ ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أوقاتها في أربعة أيام سواء للسائلين﴾ لمن سأله قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه وفي الثانية القي الأفة على كل شيء مما يتفجع به الناس وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة ثم قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ﴿ثم استوى على العرش﴾ قالوا قد أصبت لو أتممت ، قالوا ثم استراح ، فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً فنزل ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ فاصبر على ما يقولون﴾ هذا الحديث فيه غرابة فأما حديث ابن جريج عن اسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال اخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال ﴿خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل﴾ فقد رواه مسلم والنسائي في كتابيهما من حديث ابن جريج به وهو من غرائب الصحيح وقد علله البخاري في التاريخ فقال رواه بعضهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الأحبار وهو الأصح .

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٢﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ

الْأَتْعَبُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأَنبَأَنَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كُفْرًا ﴿١٦﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ
بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٧﴾
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَّحْسُورَاتٍ لِنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ
لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٨﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَبِحَيْثِنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا بِنُقُورٍ ﴿١٨﴾

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جتهدت به من الحق إن أعرضت عما جتهدت به من عند الله تعالى فإني أنذركم حلول نعمة الله بكم كما حلت بالأمم الماضية من المكذبين بالرسلين ﴿صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ أي ومن شاكلهما عن فعل كفعلهما ﴿إذا جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ كقوله تعالى : ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾ أي في القرى المجاورة لبلادهم بعث الله إليهم الرسل يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ومبشرين ومنذرين ، ورأوا ما أحل الله بأعدائه من النقم ، وما ألبس أوليائه من النعم ، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا بل كذبوا وجحدوا وقالوا ﴿لو شاء ربنا لأنزل ملائكة﴾ أي لو أرسل الله رسلاً لكانوا ملائكة من عنده ﴿فإنما بما أرسلتم به﴾ أي أيها البشر ﴿كافرون﴾ أي لا تتبعكم وأنتم بشر مثلنا قال الله تعالى : ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض﴾ أي بغوا وعتوا وعصوا ﴿قالوا من أشد منا قوة؟﴾ أي منوا بشدة تركيبتهم وقواهم واعتقدوا أنهم يمتنعون بها من بأس الله ﴿أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة﴾ أي أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها وأن بطشه شديد كما قال عز وجل ﴿والسَاءَ بِنينَاهَا بِأيدِ وَإِنَّا لَمُوسِمُونَ﴾ فبارزوا الجبار بالعداوة وجحدوا بآياته وعصوا رسله فلماذا قال ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾ قال بعضهم وهي شديدة الهبوب ، وقيل الباردة . وقيل هي التي لها صوت والحق أنها متصفة بجميع ذلك فإنها كانت ريحاً شديدة قوية لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم وكانت باردة شديدة البرد جداً كقوله تعالى : ﴿بريح صرصر عاتية﴾ أي باردة شديدة وكانت ذات صوت مزعج ، ومنه سمي النهر المشهور ببلاد المشرق صرصراً لقوة صوت جريه . وقوله تعالى ﴿في أيام نحسات﴾ أي متابعات ﴿سبع ليالٍ وثمانية أيام حوسماً﴾ وكقوله ﴿في يوم نحس مستمر﴾ أي ابتدأوا العذاب في يوم نحس عليهم واستمر بهم هذا النحس ﴿سبع ليالٍ وثمانية أيام حوسماً﴾ حتى أبادهم عن آخرهم واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة ولهذا قال ﴿لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخصى﴾ أي أشد خزياً لهم ﴿وهم لا ينصرون﴾ أي في الآخرة كما لم ينصروا في الدنيا وما كان لهم من الله من واق يقيم العذاب ويدراً عنهم النكال ، وقوله عز وجل ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وأبو العالية وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وابن زيد : بينا لهم ، وقال الثوري دعوناهم ﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾ أي بصرناهم وبيننا لهم ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام فخالقوه وكذبوه وعقروا ناقة الله تعالى التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم ﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ أي بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلاً وهواناً وعذاباً ونكالاً ﴿بما كانوا يكسبون﴾ أي من التكذيب والجحود ﴿ونجيننا الذين آمنوا﴾ أي من بين أظهرهم لم يمسهم سوء ولا نالهم من ذلك ضرر بل نجاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام بإيمانهم بتقواهم لله عز وجل .

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمْ هَاهُنَا عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا عَلَيْنَا قَالُوا أَنزَلْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْنَكُمُ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا

مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْكَ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصَّبِرُوا قَالَتَا نَارُ
مَثْوَىٰ لَهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى : ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ﴾ أي اذكر هؤلاء المشركين يوم يحشرون إلى النار يوزعون أي تجمع الزبانية أولهم على آخرهم كما قال تبارك وتعالى : ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ أي عظامنا . وقوله عز وجل : ﴿ حتى إذا ما جاءوها ﴾ أي وقفوا عليها ﴿ شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ أي بأعمالهم مما قدموه وأخروه لا يكتف من حرف ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ أي لا موا أعضائهم وجلودهم حين شهدوا عليهم فعند ذلك اجابتهم الأعضاء ﴿ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة ﴾ أي فهو لا يخالف ولا يمانع وإليه ترجعون . قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا علي بن قادم حدثنا شريك عن عبيد المكتب عن الشعبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم وتبسم فقال ﷺ « ألا تسألوني عن أي شيء ضحكت ، قالوا يا رسول الله عن أي شيء ضحكت ؟ قال ﷺ « عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول أي ربي أليس وعدتني ان لا تظلمني ، قال بلى فيقول فإنني لا اقبل علي شاهداً إلا من نفسي فيقول الله تبارك وتعالى أو ليس كفى بي شهيداً وبالملائكة الكرام الكاتبين - قال - فردد هذا الكلام مراراً - قال - فيختم على فيه وتتكلم اركانه بما كان يعمل ، فيقول بعداً لكن وسحقاً ، عنكن كنت اجادل » ثم رواه هو وابن أبي حاتم من حديث أبي عامر الأسدي عن الثوري عن عبيد المكتب عن فضيل بن عمرو عن الشعبي ثم قال لا تعلم رواه عن أنس رضي الله عنه غير الشعبي وقد أخرجه مسلم والنسائي جمعاً عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبي النضر عن عبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي عن الثوري به ، ثم قال النسائي لا أعلم أحداً رواه عن الثوري غير الأشجعي وليس كما قال كما رأيت والله اعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا أسماعيل بن علي بن يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال : قال أبو بردة : قال أبو موسى : ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عز وجل عمله فيجحد ويقول أي رب وعزتك لقد كتب عليّ هذا الملك ما لم أعمل فيقول له الملك اما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا ؟ فيقول لا وعزتك أي رب ما عملته قال فإذا فعل ذلك ختم على فيه ، قال الأشعري رضي الله عنه فاني لأحسب أول ما ينطق منه فخذة اليميني . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا حسن بن ابن لهيعة قال دراج عن أبي الليث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخصم فيقول هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقول أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقول احلفوا فيحلفون ثم يصمتهم الله تعالى وتشهد عليهم الستهم ويدخلهم النار » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال : سمعت أبي يقول حدثنا علي بن زيد عن مسلم بن صبيح أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنها انه قال لابن الأزرق إن يوم القيامة يأتي على الناس منه حين لا ينطقون ولا يعتدرون ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم ثم يؤذن لهم فيختصمون فيجحد الواحد بشركه بالله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم فيبعث الله تعالى عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم وجلودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الأفواه فتخاصم الجوارح فتقول ﴿ أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴾ فتقر الألسنة بعد الجحود . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير الحضرمي ، عن رافع أبي الحسن قال وصف رجلاً جحد قال فيشير الله تعالى إلى لسانه فيروفي فمه حتى يملاه فلا يستطيع أن ينطق بكلمة ثم يقول لأرأبه كلها تكلمي واشهدي عليه فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويده ورجلاه صنعنا عملنا فعلنا . وقد تقدم احاديث كثيرة وأثار عند قوله تعالى في سورة يس ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ بما أغنى عن اعدائه ههنا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا يحيى بن سليم الطائفي عن أبي خيثم عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر قال « ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟ » فقال فتية منهم بلى يا رسول الله بيننا نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهايينهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتي منهم فجعل احدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم كيف امري

وامرك عنده غدا؟ قال يقول رسول الله ﷺ « صدقت صدقت كيف يقدر الله قوماً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم » هذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا يحيى بن سليم به وقوله تعالى : ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ أي تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم ما كنتم تكتُمون منا الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي ولا تبالون منه في زعمكم لأنكم كنتم لا تعتقدون انه يعلم جميع أفعالكم ولهذا قال تعالى : ﴿ ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴾ * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ﴿ أي هذا الظن الفاسد وهو اعتقادكم ان الله تعالى لا يعلم كثيراً مما تعملون هو الذي أتلفكم وأرداكم عند ربكم ﴿ فأصبحوا من الخاسرين ﴾ أي في مواقف القيامة خسرتم انفسكم وأهلكم . قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمار عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله رضي الله عنه قال كنت مستتراً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشي وختناه ثقيان - أو ثقيف وختناه قرشيان - كثير شحم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم فتكلموا بكلام لم أسمعه ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ، فقال الآخر إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه وإذا لم نرفعه لم يسمعه فقال الآخر إن سمع منه شيئاً سمعه كله - قال - فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله عز وجل ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ - إلى قوله - من الخاسرين ﴿ وهكذا رواه الترمذي عن هناد عن أبي معاوية بإسناده نحوه ، وأخرجه أحمد ومسلم والترمذي أيضاً من حديث سفيان الثوري عن الأعمش عن عمار بن عمير عن وهب بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود بنحوه ، ورواه البخاري ومسلم أيضاً من حديث السفيانيين كلاهما عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عبد الله بن سخرية عن ابن مسعود رضي الله عنه به وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ قال « إنكم تدعون يوم القيامة مقدما على أفواهكم بالقدم فأول شيء يبين عن أحدكم فخذوه وكفه » قال معمر : وتلا الحسن ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ﴾ ثم قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى انا مع عبدي عند ظنه بي وانا معه إذا دعاني » ثم افتقر الحسن ينظر في هذا فقال : الا انما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم فأما المؤمن فأحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وأما الكافر والمنافق فأساء الظن بالله فأساء العمل ثم قال : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ﴾ - إلى قوله - وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ﴿ الآية . وقال الإمام أحمد حدثنا النضر بن إسماعيل القاص وهو أبو المغيرة حدثنا ابن أبي ليلى عن ابن الزبير عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يموتن احد منكم إلا وهو يحسن بالله الظن فإن قوماً قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال الله تعالى : ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين ﴾ أي سواء عليهم صبروا أم لم يصبروا هم في النار لا يحيد لهم عنها ولا خروج لهم منها ، وإن طلبوا أن يستعتبوا وبيدوا أعداراً فما لهم أعدار ولا تقال لهم عثرات . قال ابن جرير : ومعنى قوله تعالى : ﴿ وإن يستعتبوا ﴾ أي يسألوا الرجعة الى الدنيا فلا جواب لهم قال وهذا كقوله تعالى إخباراً عنهم ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ﴾ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فانا ظالمون * قال اخشوا فيها ولا تكلمون ﴿ .

﴿ وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُمْ فَرَزَقْنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدَحَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْقَوَافِيهِ لَعَلَّكُمْ تَقْلُبُونَ ﴿٥٦﴾ فَلْيُذَيِّقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ مِمَّا كَانُوا يَأْتُونَ بِبَيْنَاتٍ مَجْمُودُونَ ﴿٥٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ آصَلْنَا مِنْ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ جَمْعَهُمَا مَحْتًا أَقْدَامًا لِيَكُونَا

مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٥٩﴾

يذكر تعالى انه هو الذي أضل المشركين وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته وهو الحكيم في أفعاله بما قيس لهم من القرآن من شياطين الإنس والجن ﴿ فزينا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ اي حسنوا لهم اعمالهم في الماضي وبالنسبة الى المستقبل

فلم يروا انفسهم إلا محسنين كما قال تعالى : ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ﴾ * وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وحق عليهم القول ﴾ أي كلمة العذاب كما حق على امم قد خلت من قبلهم ممن فعل كفعلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين أي استوتوا هم وإياهم في الخسار والدمار . وقوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن ﴾ أي تواصوا فيما بينهم أن لا يطيعوا للقرآن ولا ينقادوا لأوامره ﴿ والغوا فيه ﴾ أي إذا تلي لا تسمعوا له كما قال مجاهد والغوا فيه يعني بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن فريش تفعله ، وقال الضحاك عن ابن عباس ﴿ والغوا فيه ﴾ عيبوه ، وقال قتادة اجحدوا به وانكروه وعادوه ﴿ لعلكم تغلبون ﴾ هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال تعالى : ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ﴾ ثم قال عز وجل منتصراً للقرآن ومنتقياً ممن عاداه من اهل الكفران ﴿ فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ﴾ أي في مقابلة ما اعتمده في القرآن وعند سماعهم ﴿ ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون ﴾ أي بشر اعمالهم وسيء افعالهم ﴿ ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يمجحدون ﴾ وقال الذين كفروا ربنا ارننا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴿ قال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن مالك بن الحصين الفزاري عن ابيه عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ اللذين أضلانا ﴾ قال إبليس وابن آدم الذي قتل اخاه . وهكذا روى العوفي عن علي رضي الله عنه مثل ذلك . وقال السدي عن علي رضي الله عنه فإبليس يدعو به كل صاحب شرك وابن آدم يدعو به كل صاحب كبيرة فإبليس الداعي الى كل شر من شرك فما دونه وابن آدم الأول كما ثبت في الحديث « ما قتلت نفس ظليماً الا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه اول من سن القتل » . وقولهم ﴿ نجعلها تحت اقدامنا ﴾ أي اسفل منا في العذاب ليكونا اشد عذاباً منا ولهذا قالوا ﴿ ليكونا من الأسفلين ﴾ أي في الدرك الأسفل من النار كما تقدم في الاعراف في سؤال الاتباع من الله تعالى ان يعذب قاداتهم اضعاف عذابهم ﴿ قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ أي انه تعالى قد اعطى كلا منهم ما يستحقه من العذاب والتكال بحسب عمله وإفساده كما قال تعالى : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴾ .

إِنَّ آيَاتِنا قَالُوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَحْفَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢١﴾ تَحْنُ أُولَئِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٢٢﴾ تَزَلَّ مِنَ عَقُورٍ رَاحِمٍ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ أي أخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا الجراح حدثنا مسلم بن قتيبة أبو قتيبة الشعيري حدثنا سهيل بن أبي حازم حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها ، وكذا رواه النسائي في تفسيره والبيزار وابن جرير عن عمرو بن علي الفلاس عن مسلم بن قتيبة به . وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه الفلاس به . ثم قال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن عامر بن سعيد عن سعيد بن عمران قال : قرأت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ قال هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً ثم روي من حديث الأسود بن هلال قال : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ما تقولون في هذه الآية : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ قال فقالوا ﴿ ربنا الله ثم استقاموا ﴾ من ذنب فقال لقد حملتموه على غير المحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره . وكذا قال مجاهد وعكرمة والسدي وغير واحد ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهري أخبرنا حفص بن عمر العقدي عن الحكم بن ابان عن عكرمة قال سئل ابن عباس رضي الله عنهما أي آية في كتاب الله تبارك وتعالى أرخص ؟ قال قوله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ على شهادة أن لا إله إلا الله . وقال الزهري : تلا عمر رضي الله عنه هذه الآية على المنبر ثم قال استقاموا والله لله بطاعته ولم يروغوا وروغان الثعالب . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ على أداء فرائضه ، وكذا قال

قتادة : قال وكان الحسن يقول اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة ، وقال أبو العالية ﴿ ثم استقاموا ﴾ أخلصوا له الدين والعمل .

وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا يعلى بن عطاء عن عبد الله بن سفيان الثقفي عن أبيه أن رجلاً قال يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك قال ﷺ « قل أمنت بالله ثم استقم » قلت فما اتقي ؟ فأومأ الى لسانه . ورواه النسائي من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء به . ثم قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا إبراهيم بن سعد حدثني ابن شهاب عن عبد الرحمن بن ماعز الغامدي عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به قال ﷺ « قل ربي الله ثم استقم » قلت يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علي ؟ فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان نفسه ثم قال « هذا » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح . وقد أخرجه مسلم في صحيحه والنسائي من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال ﷺ « قل أمنت بالله ثم استقم » وذكر تمام الحديث . وقوله تعالى : ﴿ تتنزل عليهم الملائكة ﴾ قال مجاهد والسدي وزيد بن اسلم وابنه يعني عند الموت قائلين ﴿ أن لا تخافوا ﴾ قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿ ولا تحزنوا ﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فانا نحلفكم فيه ﴿ وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير : وهذا كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه قال « إن الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريه اخرجي الى روح وريحان ورب غير غضبان » وقيل إن الملائكة تنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم حكاه ابن جرير عن ابن عباس والسدي . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد السلام بن مطهر حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت ثابتاً قرأ سورة حم السجدة حتى بلغ ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ﴾ فوقف فقال بلغنا ان العبد المؤمن حين يبعثه الله تعالى من قبره يتلقاه الملائكة اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن ﴿ وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ قال فيضمن من الله تعالى خوفه ويقر عينه فإ عظمة يخشى الناس يوم القيامة الا هي للمؤمن قررة عين لما هداه الله تبارك وتعالى ولما كان يعمل في الدنيا وقال زيد بن أسلم يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث . رواه ابن أبي حاتم ، وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً وهو الواقع . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ أي تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار نحن كنا أولياءكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور وعند النفخة في الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور ونجاوز بكم الصراط المستقيم ونوصلكم الى جنات النعيم ﴿ ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ﴾ أي في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهي النفوس وتقرب به العيون ﴿ ولكم فيها ما تدعون ﴾ أي مهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم ﴿ نزلنا من غفور رحيم ﴾ أي ضيافة وعطاء وانعاماً من غفور لذنوبكم رحيم بكم رؤوف حيث غفر وستر ورحم ولطف . وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديث سوق الجنة عند قوله تعالى : ﴿ ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلنا من غفور رحيم ﴾ فقال حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين أبي سعيد حدثنا الأوزاعي حدثني حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة رضي الله عنه أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أوفيهما سوق ؟ فقال نعم أخبرني رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوا فيها ونزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل ويرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ويوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس ادناهم وما فيهم دنيء على كئيبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكرامسي بأفضل منهم مجلساً . قال أبو هريرة رضي الله عنه قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا ، قال ﷺ « نعم ، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر » قلنا لا ؛ قال ﷺ « وكذلك لا تمارون في رؤية ربكم تعالى ولا يبقى في ذلك المجلس أحد الا حاضره الله محاضرة حتى انه ليقول للرجل منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم عملت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته في الدنيا - فيقول أي رب أفلم تغفر لي ، فيقول بلى ، فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه - قال - فيبيناهم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحهم شيئاً قط - قال - ثم يقول ربنا عز وجل قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة وخذوا ما اشتهيتم ، قال فنأتى سوقاً قد حفت به الملائكة ، فيها ما لم تنظر العيون الى مثله ولم تسمع الأذان ولم يخطر على القلوب قال فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه شيء ولا يشتري وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضاً . قال فيقبل الرجل ذو المنزلة الرفيعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنيء فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينفضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك

لانه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ثم ننصرف الى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحباً وأهلاً بحبيبنا لقد جئت وان بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فيقول انا جالسنا اليوم ربنا الجبار تبارك وتعالى وبحقنا أن نقلب بمثل ما انقلبنا به « وقد رواه الترمذي في صفة الجنة من جامعه عن محمد بن إسماعيل عن هشام بن عمار ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار به نحوه ثم قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ، وقال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله كره لقاء الله لقاءه » قلنا يا رسول الله : كلنا نكره الموت قال ﷺ « ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر اليه فليس شيء أحب اليه من ان يكون قد لقي الله تعالى فأحب لقاءه - قال - وان الفاجر - أو الكافر - إذا حضر جاءه بما هو صائر اليه من الشر أو ما يلقي من الشر فكره لقاء الله فكره لقاءه » وهذا حديث صحيح وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه .

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ
 آدَعُ بِأَلْتِي هِي أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَمَا يَلْقَئُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يَلْقَئُهَا
 إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِنَّمَا يَرْتَعَنُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾

يقول عز وجل ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله ﴾ اي دعا عباد الله اليه ﴿ وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين ﴾ أي هو في نفسه مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا ياتونه وينهون عن المنكر ويأتونه بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك كما قال محمد بن سيرين والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم ، وقيل المراد بها المؤذنون الصالحاء كما ثبت في صحيح مسلم « المؤذنون اطول الناس اعتناقاً يوم القيامة » وفي السنن مرفوعاً « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن فأرشد الله الائمة وغفر للمؤذنين » وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن الهروي حدثنا غسان قاضي هراة وقال ابو زرعة حدثنا ابراهيم بن طهبان عن مطر عن الحسن عن معد بن أبي وقاص رضي الله عنه انه قال « سهام المؤذنين عند الله تعالى يوم القيامة كسهام المجاهدين وهو بين الأذان والاقامة كالمتشحط في سبيل الله تعالى في دمه » قال : وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو كنت مؤذناً ما باليت ان لا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد قال : وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو كنت مؤذناً لكمل أمري وما باليت أن لا انتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿ اللهم اغفر للمؤذنين ، ثلاثاً ، قال : فقلت يا رسول الله تركتنا ونحن نجتلد على الأذان بالسيف قال ﷺ « كلا يا عمر إنه سيأتي على الناس زمان يتركون الأذان على ضعافهم وتلك لحوم حرمها الله عز وجل على النار لحوم المؤذنين » قال وقالت عائشة رضي الله عنها ولهم هذه الآية ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين ﴾ قالت فهو المؤذن اذا قال حي على الصلاة فقد دعا الى الله وهكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما وعكرمة إنها نزلت في المؤذنين وقد ذكر البغوي عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه انه قال في قوله عز وجل وعمل صالحاً يعني صلاة ركعتين بين الأذان والاقامة . ثم أورد البغوي حديث عبد الله بن المغفل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « بين كل أذانين - صلاة - صلاة - ثم قال في الثالثة - لمن شاء » وقد أخرجه الجماعة في كتبهم من حديث عبد الله بن بريدة عنه وحديث الثوري عن زيد العمي عن ابي إياس معاوية بن قرة عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال الثوري لا أراه إلا قد رفعه إلى النبي ﷺ « الدعاء لا يرد بين الأذان والاقامة » ورواه ابو داود والترمذي والنسائي في اليوم والليلة كلهم من حديث الثوري به وقال الترمذي هذا حديث حسن ، ورواه النسائي أيضاً من حديث سليمان التيمي عن قتادة عن انس به . والصحيح ان الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم فأما حال نزول هذه الآية فانه لم يكن الأذان مشروعاً بالكلية لأنها مكية والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة حين أريه عبد الله بن عبد ربه الأنصاري رضي الله عنه في سنامه فقصة على رسول الله ﷺ فأمره أن يلقيه على بلال رضي الله عنه فانه أندى صوتاً كما هو مقرر في موضعه فالصحيح اذن أنها عامة كما قال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصري انه تلا هذه الآية ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين ﴾ فقال هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفة هذا خيرة الله هذا أحب اهل الارض إلى الله أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما اجاب الله فيه من دعوته وعمل

صالحاً في إجابته وقال انني من المسلمين هذا خليفة الله ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ اي فرق عظيم بين هذه وهذه ﴿ ادفع بالتي هي احسن ﴾ اي من اساء إليك فادفعه عنك بالاحسان إليه كما قال عمر رضي الله عنه : ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل ان تطيع الله فيه . وقوله عز وجل ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ وهو الصديق إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادتة تلك الحسنه إليه إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كأنه ولي لك حميم أي قريب اليك من الشفقة عليك والاحسان اليك ، ثم قال عز وجل ﴿ وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ اي وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها الا من صبر على ذلك فانه يشق على النفوس ﴿ وما يلقاها الا ذو حظ عظيم ﴾ اي ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة ، قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : امر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم . وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ أي إن شيطان الانس ربما ينخدع بالاحسان اليه فأما شيطان الجن فانه لا حيلة فيه اذا وسوس الا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك فإذا استعذت بالله والتجأت اليه كفه عنك ورد كيده ، وقد كان رسول الله ﷺ اذا قام إلى الصلاة يقول « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ، وقد قدما ان هذا المقام لا نظير له في القرآن إلا في سورة الاعراف عند قوله تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین ﴾ واما ينزغتك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴿ وفي سورة المؤمنين عند قوله ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون ﴾ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ﴾ وأعوذ بك رب أن يحضروا ﴾ .

وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ
 إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
 ﴿٢٨﴾ وَمَنْ أَيْبَسَهُمْ أَنَّهُ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى منبهاً خلقه على قدرته وانه الذي لا نظيره له على ما يشاء قادر ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ﴾ أي انه خلق الليل بظلامه والنهار بضياؤه وهما متعاقبان لا يفتران ، والشمس نورها وإشراقها والقمر وضياؤه وتقدير منازلها في فلكه واختلاف سيره في سبانه ليعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار والجمع والشهور والأعوام ، ويتبين بذلك حلول الحقوق وأوقات العبادات والمعاملات . ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي نبه تعالى على أنها مخلوقان عبدان من عبيده تحت قهره وتسخيره فقال ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ أي ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره فإنه لا يغفر ان يشرك به ولهذا قال تعالى : ﴿ فان استكبروا ﴾ اي عن أفراد العبادة له وابوا إلا ان يشركوا معه غيره ﴿ فالذين عند ربك ﴾ يعني الملائكة ﴿ يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ كقوله عز وجل ﴿ فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ﴾ . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سفيان يعني ابن وكيع حدثنا ابي عن ابن ابي ليلى عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ « لا تسبوا الليل ولا النهار ولا الشمس ولا القمر ولا الرياح فانها ترسل رحمة لقوم وعذاباً لقوم » . وقوله ﴿ ومن آياته ﴾ اي على قدرته على اعادة الموت ﴿ أنك ترى الارض خاشعة ﴾ اي هامدة لا نبات فيها بل هي ميتة ﴿ فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾ أي أخرجت من جميع الوان الزروع والشجر ﴿ إن الذي أحياها لمحيي الموت إنه على كل شيء قدير ﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَحْقُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ
 بِهِ يَمَاعِلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبٌ عَزِيزٌ ﴿٣١﴾ لَا يَأْتِيهِمُ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ

خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿١٤٦﴾ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٤٧﴾

قوله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين يلحدون في آياتنا ﴾ قال ابن عباس : الالحاد وضع الكلام على غير مواضعه . وقال قتادة وغيره هو الكفر والعناد ، وقوله عز وجل ﴿ ولا يخفون علينا ﴾ فيه تهديد شديد ووعد أكيد أي إنه تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأسائه وصفاته وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال ولهذا قال تعالى : ﴿ أفمن يلقي في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة ؟ ﴾ أي أيستوي هذا وهذا ؟ لا يستويان . ثم قال عز وجل تهديدا للكفرة ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ قال مجاهد والضحاك وعطاء الخراساني ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ وعيد اي من خير او شر إنه عالم بكم وبصير بأعمالكم ولهذا قال ﴿ إنه بما تعملون بصير ﴾ ثم قال جل جلاله ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ﴾ قال الضحاك والسدي وقاتدة وهو القرآن ﴿ وإنه لكتاب عزيز ﴾ اي منيع الجنب لا يرام أن يأتي أحد بمثله ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ أي ليس للبطلان إليه سبيل لأنه منزل من رب العالمين ولهذا قال ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ أي حكيم في أقواله وأفعاله حميد بمعنى محمد اي في جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع محموده عواقبه وغاياته . ثم قال عز وجل ﴿ ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ﴾ قال قتادة والسدي وغيرهما ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسل من قبلك فكما كذبت كذبوا وكما صبروا على اذى قومهم لهم فاصبر أنت على اذى قومك لك . وهذا اختيار ابن جرير ولم يحك هو ولا ابن ابي حاتم غيره وقوله تعالى : ﴿ إن ربك لذو مغفرة ﴾ اي لمن تاب اليه ﴿ وذو عقاب أليم ﴾ اي لمن استمر على كفره وخطيئانه وعناده وشقاقه ومخالفته ، قال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال نزلت هذه الآية ﴿ إن ربك لذو مغفرة ﴾ قال رسول الله ﷺ « لولا عفو الله وتجاوزه ما هتأ أحدنا العيش ، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد » .

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجْمًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْوهُ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿١٤٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤٧﴾

لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته وأحكامه في لفظه ومعناه ومع هذا لم يؤمن به المشركون نه على ان كفرهم به كفر عناد وتعنت كما قال عز وجل ﴿ ولو نزلناه على بعض الاعجميين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ﴾ وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا على وجه التعنت والعناد ﴿ لولا فصلت آياته أعجمي وعربي ﴾ اي لقالوا هلا أنزل مفضلاً بلغة العرب ولأنكروا ذلك فقالوا أعجمي وعربي اي كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه ؟ هكذا روي هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم ؟ وقيل المراد بقولهم لولا فصلت آياته أعجمي وعربي اي هل انزل بعضها بالأعجمي وبعضها بالعربي ؟ هذا قول الحسن البصري وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام في قوله أعجمي وهو رواية عن سعيد بن جبير وهو في التعنت والعناد أبلغ ثم قال عز وجل ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ﴾ اي قل يا محمد هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب ﴿ والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر ﴾ أي لا يفهمون ما فيه ﴿ وهو عليهم عمى ﴾ اي لا يتدنون إلى ما فيه من البيان كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ ﴿ اولئك يتنادون من مكان بعيد ﴾ قال مجاهد يعني بعيد من قلوبهم قال ابن جرير معناه كان من يخاطبهم يتناديهم من مكان بعيد لا يفهمون ما يقول ، وقلت وهذا كقوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ وقال الضحاك يتنادون يوم القيامة بأشنع أسائهم . وقال السدي كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالساً عند رجل من المسلمين يقضي اذ قال : يا ليكاه فقال له عمر رضي الله عنه لم تلي ، هل رأيت أحداً أو دعاك أحد ؟ فقال دعاني داع من وراء البحر فقال

عمر رضي الله عنه أولئك ينادون من مكان بعيد رواه ابن ابي حاتم . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ﴾ اي كذب واوذي ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى ﴾ بتأخير الحساب إلى يوم المعاد ﴿ لقضي بينهم ﴾ اي لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلاً ﴿ وإنهم لفي شك منه مريب ﴾ اي وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا بل كانوا شاكين فيما قالوه غير محققين لشيء كانوا فيه ، هكذا وجهه ابن جرير وهو محتمل ، والله أعلم .

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٦﴾ ۖ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ۖ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا ۖ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ آيِنَ شُرَكَآئِي قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَيْءٍ ﴿١٧﴾ ۖ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوْا مَا لَهُم مِّن مَّحِصٍ ﴿١٨﴾

يقول تعالى : ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ﴾ اي إنما يعود نفع ذلك على نفسه ﴿ ومن أساء فعليها ﴾ اي انما يرجع وبال ذلك عليه ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ اي لا يعاقب احداً إلا بذنبه ولا يعذب احداً الا بعد قيام الحجة عليه وارسال الرسول اليه ثم قال جل وعلا ﴿ اليه يرد عليم الساعة ﴾ اي لا يعلم ذلك احد سواه كما قال محمد ﷺ وهو سيد البشر لجبريل عليه الصلاة والسلام وهو من سادات الملائكة حين سأله عن الساعة فقال « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » وكما قال عز وجل ﴿ إلى ربك متنهاها ﴾ وقال جل جلاله ﴿ لا يجليها لوقتها إلا هو ﴾ قوله تبارك وتعالى : ﴿ وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ﴾ اي الجميع بعلمه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ﴾ وقال جلّت عظمته : ﴿ يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ وقوله جل وعلا ﴿ ويوم يناديهم ابن شركائي ؟ ﴾ اي يوم القيامة ينادي الله المشركين على رؤوس الخلائق ابن شركائي الذين عبدوهم معي ﴿ قالوا أذنك ﴾ اي اعلناك ﴿ ما منا من شهيد ﴾ اي ليس احد منا يشهد اليوم ان معك شريكاً ﴿ وصل عنهم ما كانوا يدعون من قبل ﴾ اي ذهبوا فلم يتفهمهم ﴿ وظنوا ما لهم من محيص ﴾ اي وظن المشركون يوم القيامة وهذا بمعنى اليقين ﴿ ما لهم من محيص ﴾ اي لا محيد لهم عن عذاب الله كقوله تعالى : ﴿ ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً ﴾ .

لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَسْتَوْسِقُنَّ قَنُوطٌ ﴿١٦﴾ ۖ وَلَئِن أَدَقَّنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُ لَيَكْفُرَنَّ هَذَا إِلَىٰ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا ۖ وَلَنُدَيِّقُنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿١٧﴾ ۖ وَإِذَا أُنْمِنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُودَعَا ۖ عَرِيضٌ ﴿١٨﴾

يقول تعالى لا يمل الانسان من دعاء ربه بالخير وهو المال وصحة الجسم وغير ذلك فإن مسه الشر وهو البلاء أو الفقر ﴿ فينوس قنوط ﴾ اي يقع في ذهنه أنه لا يتبها له بعد هذا خير ﴿ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ﴾ اي إذا أصابه خير ورزق بعد ما كان في شدة ليقولن هذا لي إني كنت أستحقه عند ربى ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾ اي يكفر بقيام الساعة أي لأجل أنه خول نعمة يطر ويفخر ويكفر كما قال تعالى : ﴿ كلا إن الانسان ليطغى ۖ أن رآه استغنى ﴾ ﴿ ولئن رجعت الى ربي إن لي عنده للحسنى ﴾ اي ولئن كان ثم معاد فليحسنن إلى ربي كما أحسن إلي في هذه الدار ، يتمنى على الله عز وجل مع اساءته العمل وعدم اليقين قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من

عذاب غليظ ﴿ يتهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنعكاس ثم قال تعالى : ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانيه ﴾ أي أعرض عن الطاعة واستكبر عن الانقياد لأوامر الله عز وجل كقوله جل جلاله ﴿ فتول بركنه ﴾ ﴿ وإذا مسه الشر ﴾ أي الشدة ﴿ فذود دعاء عريض ﴾ أي يطيل المسألة في الشيء الواحد فالكلام العريض ما طال لفظه وقل معناه والوجيز عكسه وهو ما قل ودل وقد قال تعالى : ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره ﴾ الآية .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ ﴿٥٧﴾ سَرَّيْهِمْ
أَيْتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٨﴾ أَلَا إِنَّهُمْ
فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُونَ ﴿٥٩﴾

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن ﴿ أرايتم إن كان ﴾ هذا القرآن ﴿ من عند الله ثم كفرتم به ؟ ﴾ أي كيف ترون حالكم عند الذي أنزله على رسوله ؟ ولهذا قال عز وجل ﴿ من أضل ممن هو في شقاق بعيد ؟ ﴾ أي في كفر وعناد ومشاقة للحق ومسلك بعيد من الهدى ثم قال جل جلاله ﴿ سرريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم ﴾ أي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجية ﴿ في الأفاق ﴾ من الفتحوات وظهور الاسلام على الاقاليم وسائر الاديان قال مجاهد والحسن والسدي ودلائل في انفسهم قالوا : وقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم نصر الله فيها عمداً ﷺ وصحبه ونخل فيها الباطل وحزبه ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الانسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والاختلاط والمهيات العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى وكذلك ما هو مجبول عليه من الاخلاق المتباينة من حسن وقبح وغير ذلك وما هو متصرف فيه تحت الاقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحذره ان يجوزها ولا يتعدها كما انشده ابن ابي الدنيا في كتابه التفكير والاعتبار عن شيخه ابي جعفر القرشي حيث قال وأحسن المقال :

واذا نظرت	تريد	معتبراً
أنت الذي	تمسي	وتصبح في
أنت المصرف	كان	في صغر
أنت الذي	تنعمه	خلقته
أنت الذي	تعطي	وتسلب لا
أنت الذي	لا شيء	منه له

وقوله تعالى : ﴿ حتى يتبين لهم أنه الحق او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ﴾ أي كفى بالله شهيداً على افعال عباده واقوالهم وهو يشهد أن عمداً ﷺ صادق فيما أخبر به عنه كما قال ﴿ ولكن الله يشهد بما انزل اليك أنزله يعلمه ﴾ الآية . وقوله تعالى : ﴿ ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ﴾ أي في شك من قيام الساعة ولهذا لا يتفكرون فيه ولا يعملون له ولا يجحدون منه بل هو عندهم هدر لا يعابون به وهو كائن لا محالة وواقع لا ريب فيه قال ابن ابي الدنيا حدثنا احمد بن ابراهيم حدثنا خلف بن تميم حدثنا عبد الله بن عماد حدثنا سعيد الأنصاري قال : إن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس فاني لم أجمعكم لأمر احدهم فيكم ، ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أنتم إليه صائرون فعلمت أن المصدق بهذا الامر احق والمكذب به هالك ، ثم نزل . ومعنى قوله رضي الله عنه ان المصدق به احق اي لأنه لا يعمل له عمل مثله ولا يجحد منه ولا يخاف من هوله وهو مع ذلك مصدق به موقن بوقوعه وهو مع ذلك يتهادى في لعبه وغفلته وشهوته وذنوبه فهو احق بهذا الاعتبار والاحق في اللغة ضعيف العقل ، وقوله والمكذب به هالك هذا واضح ، والله اعلم . ثم قال تعالى مقررًا انه على كل شيء قدير وبكل شيء محيط وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى : ﴿ ألا إنه بكل شيء محيط ﴾ أي المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته وتحت طي علمه وهو المتصرف فيها كلها بحكمه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا إله الا هو .